

مقدمة: شهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تصاعدا في حدة المد التحرري بقارتي إفريقيا وآسيا، نتج عنه تراجع الاستعمار التقليدي، وكان من أبرزها الحركة التحررية في الهند...، فما هو مفهوم الحركات التحررية وما هي أبرز مميزاتها، وما هي أبرز محطات النضال الهندي ضد السيطرة الاستعمارية البريطانية....

أولا / مفهوم الحركات التحررية، وأبرز مميزاتها. (4 ن)

1 مفهوم الحركة التحررية: هي تلك التنظيمات التي ظهرت في المناطق الخاضعة للاستعمار والتي خاضت المقاومة بأشكالها المختلفة، سواء العسكرية أو السياسية أو بالجمع بينهما معا، مُعبّرة عن رفض الاستعمار وساعية لتحقيق الاستقلال واسترجاع السيادة على الأرض والثروات.

الحركة التحررية: هي رد فعل وطني من شعوب المستعمرات ضد السيطرة الأجنبية المفروضة بطريقة مباشرة، أو بواسطة أنظمة عميلة مرتبطة بالاستعمار وموالية له، ظهرت هذه الحركة بدءا في أمريكا اللاتينية في القرن 19م، وفي آسيا وإفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية.

2/ ميزات الحركات التحررية:

- وحدة الهدف أي رفض الوجود الاستعماري ومحاربه والعمل على التخلص منه، مهما كان نوعه (مباشر أو غير مباشر) أو مصدره (فرنسي انجليزي....)، فلمسبب الرئيس في ظهورها هو التواجد الأوروبي وهدفها هو التخلص منه. ² - التزامن التاريخي، فهي كانت كالدوى الإيجابية التي ما فتئت تجتاز الحدود الجغرافية محطمة أغلالا كبلت الأيدي لعقود وقرون من الزمان.... - التضامن بين هذه الحركات، خاصة التضامن الأفرو آسيوي، ⁴ - الاعتراف الدولي بالحركات التحررية وبشرعية نضالها.... ⁵ - تركيزها على الكفاح السلمي السياسي في فترة ما بين الحربين وعلى الكفاح العسكري المسلح بعد الحرب ع2، ⁶ - انحسارها في جنوب الأرض تقريبا، ⁷ - تميز الكفاح في البلدان الإسلامية على أنه جهاد في سبيل الله علاوة على أنه كفاح من أجل تحرير الأرض.

*/ثانيا/ أهم محطات النضال الهندي ضد الاستعمار الإنجليزي، وأبرز نتائجه (12 ن).

1/المقاومة الهندية:

قام الشعب الهندي بثورته على المستعمر الإنجليزي عام 1857م، هذه الثورة التي بدأها الجنود الهنود في الجيش الإنجليزي في ثكناتهم بسبب الإهانات التي تعرضوا لها من قادتهم الإنجليزي، الذين عمدوا إلى جلب خراطيش تُدهن بشحوم الخنازير والأبقار قبل الاستعمال، وطلبوا من الهنود المجندين واغلبهم كان إما هندوسيا يُقدس البقر ويحرم أكله، أو مسلما يُحرم عليه أكل لحم الخنزير، حيث طلبوا منهم فكّ الشحوم المتجمدة بأسنانهم، في خطوة استفزازية صريحة غرضها إذلال هؤلاء، وقد رفض الجنود الهنود فعل هذا الأمر، مما دفع بقادتهم الإنجليزي إلى معاقبتهم حتى أنهم حكموا على 85 فردا منهم بالسجن لمدة عشر سنوات، فتمرد الجنود الهنود وقتلوا كل من صادفهم من الإنجليزي خاصة بعد أن انضم إليهم العديد من المواطنين، حتى أنهم وصلوا إلى دلهي لكنهم هزموا فيما بعد بفعل الخيانة، واستطاع الإنجليزي إخماد الثورة بالقسوة وتعرض الثوار للقمع والتنكيل...

وبالإضافة إلى هذه الحركة، شهدت عديد المناطق الهندية حركات مناوئة للبريطانيين كان عيها عدم التنظيم المحكم فضلا عن عدم تزامنهما، مما سمح للانجليز في القضاء عليها دون بذل جهد كبير... ثم أعلنت تبعية الهند للتاج البريطاني، ونودي بالملكة فيكتوريا إمبراطورة على الهند عام 1858 وبدأ التحكم المباشر للانجليز في الهند.

2- النضال السياسي:

أ- حزب المؤتمر الوطني الهندي 1885م.

يبدو أنَّ الثورة السابقة كان لها دور حاسم في نشر الفكر القومي الهندي وسط الشعب، هذا الفكر الذي أخذ في التنامي، وتجسد على أرض الواقع على شكل حزب سياسي هو حزب المؤتمر الوطني الهندي الذي كان أول اجتماع له في مدينة بومباي سنة 1885م، وهو أول حركة قومية حديثة ظهرت في المستعمرات البريطانية، وفي بداياته حزب المؤتمر كان صنيعة بريطانية بامتياز ذلك أنَّه تأسس على يد مجموعة من مؤيدي الإستعمار البريطاني ولأنَّه شكّل الأمل والمتنفس الوحيد للهنود، اغتبطوا تحت لوائه بأعداد كبيرة، هذا الأمر الذي أثار حفيظة بريطانيا وأربعها، وفي بداياته الأولى لم يكن الاستقلال من مطالبه البارزة، وكان ممن تولى رئاسة الحزب منذ تأسيسه خمسة من الأجانب الذين لم يولدوا حتى في الهند.

هذا وكانت شعبية حزب المؤتمر الوطني الهندي تتزايد بشكل كبير وسط الهنود من مسلمين وهندوس، الذين اغتبطوا في صفوفه بأعداد معتبرة، فبدأ تخوف الانجليز من هذا الأمر فعملوا للتفريق بين المسلمين والهندوس من خلال اضطهاد المسلمين واحتضان الهنود، كما أنهم استغلوا أي فرصة تتاح لهم لضرب الهندوس بالمسلمين والعكس، ونتج عن هذه السياسة خروج المسلمين من الحزب ذو الأغلبية الهندوسية وتأسيس حزب خاص بهم هو حزب الرابطة الإسلامية سنة 1906م.

ب- حزب الرابطة الإسلامية سنة 1906م: يرجع سبب ظهوره في الأساس إلى تلك الانشقاقات التي زرعها الإنجليز ما بين الهندوس والمسلمين، كما أنَّ المسلمين تخوفوا من ظهورهم بمظهر الأقلية في وسط حزب المؤتمر ذو الأغلبية الهندوسية، التي بدأت تنظر لهم نظرة احتقارية في أعقاب تقسيم بلاد البنغال سنة 1905م، وبالتالي نظر الكثير من المسلمين الهنود إلى حزب المؤتمر على أنه مظهر من مظاهر التسلط الهندوسي على المسلمين، ولم يكتسب حزب الرابطة الإسلامية مكانة محترمة في الساحة الهندية إلا في أعقاب انضمام مُحمَّد علي جناح إليه سنة 1913م.

وكان مُحمَّد علي جناح قد حذّر في أعقاب إعلان نائب الملك في الهند عن تقسيم البنغال عام 1905م، أن هذا الأمر فح بريطاني للهنود، هذا وكان قد تم انتخاب مُحمَّد علي جناح سنة 1910م كعضو في المجلس التشريعي المركزي، وفي أعقاب انضمامه لحزب الرابطة الإسلامية 1913م، كان هو رئيس البعثة الهندية المتوجهة إلى لندن لتقديم مطالب الهنود، وكانت له محاولات للتوفيق بين الرابطة الإسلامية وحزب المؤتمر الوطني.، هذا وكانت أوضاع الهند عشية إندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م هادئة إلى حد ما، ولكن بتطور الحرب وما أحدثته من تغييرات على الساحة الدولية ازدادت حيوية الشعب الهندي ومطالبه.

ج- نضال غاندي في الهند:

* كان غاندي في جنوب إفريقيا يناضل هناك ضد التسلط الاستعماري التمييز العنصري والإهانة... وبدأ صيته يشيع بين الهنود من خلال مواقفه ومؤلفاته على غرار الكتاب الأخضر...، بدأ نضاله بالهند بعد ح ع 1 وانضمامه لحزب المؤتمر الهندي، وقيامه بجعل مطلب استقلال الهند من أبرز أهداف الحزب، وهذا بعد أن كان الحزب يطالب ببقاء التبعية لانجلترا.

* وكان قد اشتهر غاندي بدعوته للمقاومة السلمية واللاعنف الإيجابي، من خلال الآجيمسا AHIMSA، وهي دعوة للمحبة وفعل الخير ولو مع الأعداء، إضافة لمعارضة الحكومة وعدم الامتثال لأوامرها، دون اللجوء لأي نوع من أنواع القوة، لأن القوة الحقيقية حسبها هي قوة الحق واللاعنف، والصبر على الأذى وتحمل المكاره، وضبط النفس، وقد استخدم غاندي سلاحه هذا في مختلف المجالات (التعليم الانتخابات القضاء...)، وأثبت فعاليته، ذلك أنَّ استخدامه كان معناه شل الحركة العامة وتوقف كل الأنشطة في الهند خاصة في ظل التجاوب الشعبي الكبير معه.

وكان غاندي يقول عن سياسته هذه: "أنا أعلم أنَّ اللاعنف أفضل من العنف، وإنَّ العفو أدل على الرجولة من القصاص.... وما كان اللاعنف خضوعاً وانقياداً للمسيء....".

وهذه السياسة التي اعتمدها غاندي تُعرف بإسم الساتياجراها، هذا وكان غاندي لا يستبعد فكرة اللجوء إلى العنف في حالة ما إذا لم يأت نضاله السلمي بأي نتيجة، وحركة الساتياجراها تعني عند غاندي الإصرار على الحق، وهي مشكلة من كلمتين، ساتيا بمعنى الحقيقة، غراها بمعنى الإصرار على الالتزام، والساتياجراها تعني بالنسبة لغاندي قوة روحية وأخلاقية، وتتكون من ثلاثة ركائز أساسية أولها عدم التعاون مع السلطة الانجليزية في جميع المستويات، وسلك طريق الإضراب عن العمل وإغلاق الدكاكين، إتباع أسلوب الضغط بالمظاهرات والاحتجاجات، ويشمل عدم التعاون مع الإنجليز أيضا الاستقالة من الوظائف والمناصب فضلا عن التخلي عن الألقاب، أما النقطة الثانية فهي حركة العصيان المدني، وعدم دفع الضرائب، أما الركيزة الثالثة في الساتياجراها فهي اللجوء إلى الصيام بغرض دعم حركتهم في حالة ما إذا اقتضت الحاجة.

وكانت فكرة سياسة غاندي جد بسيطة مفادها أنّ سلطان بريطانيا في الهند كان مرتكزا على تعاون الهنود معهم، وعليه فإن امتناع الهنود بمختلف طبقاتهم وتوجهاتهم وانتماءاتهم من التعاون مع الإنجليز ومقاطعتهم سيؤدي حتما إلى ضعفهم وعجزهم عن تسيير الأمور وبالتالي انهيارهم.

*** أما عن أهداف هذه السياسة** فإن غاندي كان يسعى إلى الاستقلال القومي (سواراجيا)، ثم يأتي بعده المجتمع المثالي الهندي (سامادايا)، الذي لا يتحقق إلا عن طريق التقدم الاجتماعي والاقتصادي، وعلى كل هندي حسب غاندي الالتزام بثلاث مبادئ أساسية هي اللاعنف، ورفض الإضرار بالآخرين، مع الالتزام بالحق الذي يعني التحلي بالروح العسكرية والتضحية، بالإضافة إلى حرمة العمل كمرحلة أخيرة في إطار ضمان احترام الذات وتحقيق الكرامة، والابتعاد عن التمييز العنصري.

وعمل غاندي على صيانة وحدة الشعب الهندي، وهذا من خلال دعم الوحدة بين المسلمين والهندوس ومحاربة النزعات الطائفية بينهما، ومحاولة التخفيف من الفوارق الطبقيّة المشكلة للمجتمع الهندي ...

* ظهرت البوادر الأولى لحركة العصيان المدني سنة 1916، أين أعلن مجموعة من الفلاحين أنهم سيسجنون مع غاندي إذا حكم ضده بعد أن تعرض لمتابعة قضائية، فأطلق سراحه مع من معه، وكانت هذه حركة العصيان الأولى في تاريخ الهند الحديث، ثم بدأت الاضطرابات في الهند وقمعها البريطانيون بعنف، فقد ارتكبوا عدة مجازر (من ذلك مذبحّة عرفت بمذبحة أمريستار في 1919/04/13م ذهب ضحيتها 379 شخصا)، وبسبب هذه المذبحة تبنى حزب المؤتمر الهندي موقفاً يرمي إلى المقاومة السلمية ضد الإنجليز في مؤتمره الذي عقد في كالكوتا عام 1920م وطالب بالحصول على الحكم الذاتي بالوسائل السلمية.

ففيه تم إطلاق حركة عدم التعاون، وكانت الخطة التي رسمها غاندي خطة محكمة، تقوم على عدم العنف، ومفادها رفض التعاون مع الحكومة الانجليزية في إدارتها واستغلالها للهند بأي صورة من الصور، واشتمل برنامج عدم التعاون الذي أعلنه غاندي على نقاط مختلفة أهمها تسليم الألقاب والأوسمة والعناوين الشرفية واستقالة الأعضاء من المجالس المحلية، استقالة الموظفين من الدوائر الحكومية، مقاطعة المحاكم من قبل المحامين ورجال القضاء، مقاطعة البضائع الأجنبية، إقامة الإضرابات، وتنظيم المظاهرات.

وعليه فقد استطاع غاندي تحويل حزب المؤتمر الوطني من حزب للقادة يتم اختيارهم سنويا إلى حركة شعبية تسمح لجميع الهنود بالانضمام إليها، وأمام تعنت البريطانيين وقمعهم للحركة التحررية الهندية أعلن غاندي زعيم المؤتمر الوطني الهندي حركة العصيان المدني ضد الاحتلال البريطاني 1920 إلى 1922 ثم تزعم حركة عصيان أخرى ضد الضرائب التي تفرضها الحكومة البريطانية على المواطنين الهنود.

ثم قرر حزب المؤتمر الوطني في مؤتمر لاهور عام 1929م بأن الاستقلال هدف يجب بلوغه، وفي سنة 1935 وافق البرلمان البريطاني على قانون الحكومة الهندية الذي يتضمن استقلال الأجهزة التشريعية في الهند وحماية الأقليات المسلمة وتحويل الهند إلى

النظام الفدرالي، وفي الفترة الممتدة من 1942 إلى 1943 أطلق المؤتمر الوطني الهندي بزعامة غاندي سياسة سميت حركة تحرير الهند، ونتيجة لضعف الاستعمار البريطاني بعد الحرب العالمية الثانية، وازدياد نشاط وفاعلية الحركات التحررية بما فيها الحركة التحررية الهندية دخلت بريطانيا في مفاوضات، وبعد المفاوضات اتفق الإنجليز مع الأطراف الهندية (الرابطة الإسلامية وحزب المؤتمر) على ترسيم الحدود في جوان عام 1947م، وفق لرغبات السكان.

وعرض مشروع استقلال الهند على مجلس العموم البريطاني، ووافق عليه ملك إنجلترا، وأصبحت الهند دولة مستقلة في 14/08/1947م، وتم تشكيل حكومتين الأولى في الهند والثانية في باكستان (باكستان الشرقية والغربية) فيما بعد انفصلت بنغلادش عن باكستان عام 1972م.

خاتمة: نجح النضال الهندي في تحقيق الاستقلال، وفشلت مساعي غاندي الرامية إلى المحافظة على الوحدة بين الهندوس والمسلمين في شبه القارة الهندية، وبعد الاستقلال أصبحت دولة باكستان حقيقة، واتخذت مدينة كراتشي عاصمة لها، ولم تحظ بموارد الثروة والمصانع التي كانت من نصيب الهند، ولم يكن لها رصيد مالي يذكر، وكان عليها تأسيس حكومة وجيش وأسطول، لحماية شعبها وحدودها، وتنظيم أمورها الإدارية.